

يَمِينُ السَّعَادَةِ

لِحُجَّةِ الْإِسْلَامِ أَبُو حَامِدٍ الْغَزَالِي

دراسة وتحقيقه وتعليق

محمد عبد العليم

مكتبة الساعي

للطبع والنشر والتوزيع
٣ شارع القماش بالفرنساوى - بولاق
القاهرة - ت : ٧٦١٩٦٢ - ٧٦٨٥٩١

مكتبة الساعي

الرياض تليفون : ٤٢١١٤٢٤ - ٤٢١٥٦٣٦
ص.ب. ٥٠٦٤٩ - الرياض / ١١٥٣٣

جميع الحقوق محفوظة
لمكتبة القرآن



obeikandi.com

دراسة وتحقيق

أولاً : المؤلف : حجة الإسلام الغزالي :

- * روح عصره .
- * معالم حياته .
- * مؤلفاته .

ثانياً : الكتاب : كيمياء السعادة :

- * نسبة الكتاب إلى الغزالي .
- * التمييز بين النص العربي والنص الفارسي .
- * تاريخ تأليفه .
- * مضمون الكتاب .
- * أسلوب الغزالي في هذا الكتاب .
- * مخطوطات الكتاب .
- * ترجمات الكتاب .
- * الطبع .
- * منهج التحقيق .

obeikandi.com

أولاً المؤلف
حجة الإسلام الغزالي
(٤٥٠ - ٥٠٥ هـ = ١٠٥٨ - ١١١١ م)

* روح عصره :

لعل أفضل ما نلجأ إليه في الكلام عن روح أى عصر من العصور ، هو أهل ذلك العصر . ولذا فإننا نلجأ في هذا الصدد إلى الإمام الغزالي ، الذى يعد أكثر علماً ودراية بروح عصره من أى شخص آخر .

قد كان العالم الإسلامى - إبان نشأة الغزالي - يموج بمختلف الأفكار وشتى المذاهب والفرق . وبالرغم من تنوع وتعدد التيارات السائدة آنذاك ، إلا أن الغزالي قد حصرها فى اتجاهات أربعة :

- ١ - المتكلمين : وهم يدعون أنهم أهل الرأى والنظر .
- ٢ - الباطنية : وهم يزعمون أنهم أصحاب التعليم ، والمخصوصون بالاعتباس من الإمام المعصوم .
- ٣ - الفلاسفة : وهم يزعمون أنهم أهل المنطق والبرهان .
- ٤ - الصوفية : وهم يدعون أنهم خواص الحضرة ، وأهل المشاهدة والمكاشفة^(١) .

(١) الغزالي : المنقذ من الضلال ، طبعة مكتبة الجندى ، ص ٣٣ .

تلك هي الاتجاهات الأساسية الأربعة التي كانت سائدة في عصر الغزالي . وقد توصل الغزالي من خلال تحليله لتلك التيارات ومختلف المظاهر العقلية والحضارية في عصره ، إلى أن المجتمع الإسلامي إبان ذلك كان في حالة من التدهور الفكري والسلوكي ، لاسيما وقد انتشرت عند بعض طوائف الصوفية والباطنية كثير من النوازع والميول الإباحية . أما المتفلسفون ، فكانوا يعيشون في أبراجهم العاجية ، ويرون أن الدين أمر يخص الجمهور وحدهم ، مما أدى بهم إلى عدم الجدية تجاه التكليف الشرعية . أما رجال الدين فقد كانوا نماذج سيئة وقدوات منحطة لسائر الناس ؛ ذلك أنهم كانوا يتهاونون في الالتزام بالتعاليم الإسلامية ، ويلقون بأنفسهم في أحضان الملوك والأمراء ، ويتشبثون بأهدابهم^(١) . فقد كانوا لا يطلبون العلم للعلم ، بل كانوا يتخذون منه وسيلة للتقرب إلى أصحاب السلطان إلا من رحم الله تعالى .

وقد بحث الإمام الغزالي عن القوى الإيجابية التي كان يمكن أن تقف في مواجهة قوى الانحلال والسلبية ، إلا أنه لم يجد شيئاً من هذا . فالأطباء - الذين كان من المفروض أن يكافحوا تلك الأمراض - قد مرضوا ، وفاقد الشيء لا يعطيه ، « وقد عم الداء ، ومرض الأطباء ، وأشرف الخلق على الهلاك »^(٢) .

* معالم حياته^(٣) :

هو محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي ، أبو حامد ، حجة الإسلام .

(١) الغزالي : فاتحة العلوم ، ص ٤٧ . (٢) الغزالي : المنقذ من الضلال ، ص ٩١ .

(٣) عن الدراسة التي قدم بها الأستاذ / محمد عثمان الخشت لكتاب « المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى » .

ولد في طوس - المدينة العامرة آنذاك بالعلم والعلماء . ونشأ في أسرة متوسطة الحال ، متمسكة بالإسلام .

قرأ شيئاً من الفقه في طوس على أحمد بن محمد الراذكاني . وسافر إلى جرجان إلى الإمام أبي نصر الإسماعيلي ، وعلق عنه « التعليقة » في الفقه . ورجع إلى طوس .

قدم نيسابور في صحبة مجموعة من طلبة العلم من مدينة طوس ، ولازم إمام الحرمين . وبعد وفاته خرج الغزالي إلى المعسكر قاصداً الوزير نظام الملك ، فناظر الأئمة وقهرهم ، ولقى التعظيم من نظام الملك . والمعسكر كان ميداناً فسيحاً بجوار نيسابور أقام فيه نظام الملك معسكره .

توجه للتدريس بالمدرسة النظامية ببغداد بتكليف من نظام الملك (٤٨٤ هـ جمادى الأول) .

بدخول شهر رجب عام ٤٨٨ هـ بدأت أزمته الروحية التي استمرت ستة أشهر أى حتى أوائل عام (٤٨٩ هـ) . وفي شهر ذي القعدة سنة (٤٨٨ هـ) ترك التدريس في المدرسة النظامية ، وسلك طريق الزهد والانقطاع . وفي ذي الحجة خرج من بغداد مظهراً العزم على الخروج إلى مكة للحج ، وهو يدبر في نفسه السفر إلى الشام . وقد استتاب أخاه أحمد في التدريس بنظامية بغداد .

ودخل دمشق في بداية سنة (٤٨٩ هـ) ، فلبث فيها مدة في مسجد دمشق معتكفاً في منارته الغربية مغلقاً بابها على نفسه . ثم ذهب إلى بيت المقدس يدخل كل يوم الصخرة مغلقاً بابها على نفسه . ثم توجه إلى الخليل لزيارة مقام إبراهيم عليه السلام .

وفي أواخر سنة (٤٨٩ هـ) رجع إلى دمشق ، واعتكف

بالمنازة الغربية من الجامع الأموى ، فكان يصعد المنارة الغربية طول النهار ويغلق بابها على نفسه ، وظل فى دمشق حتى ذى القعدة عام (٤٩٠ هـ) .

ثم ذهب لأداء فريضة الحج وزيارة رسول الله ﷺ .
وفى الشهور الخمسة من عام (٤٩٠ هـ) مرّ ببغداد فى طريقه إلى خراسان ، ولكنه لم يقيم طويلاً فى بغداد ، ولم يستأنف التدريس بالنظامية .

ومضى إلى خراسان ، ودرّس مدة بطوس ، ثم ترك التدريس والمناظرة ، واشتغل بالعبادة ، وآثر العزلة ، وتصفية القلب بالذكر .
لكن حوادث الزمان ومهمّات العيال وضرورات المعاش كانت تغير فيه وجه المراد وتشوش صفوة الخلوة ، ودام على هذه الحال قرابة تسع سنين .

فى شهر ربيع الآخر سنة (٤٩٨ هـ) عين سنجر - فخر الملك على بن نظام وزيراً له فى خراسان ؛ فألح على الغزالي فى معاودة التدريس ، فلم يجد بُدّاً من الإذعان ، وعاد إلى التدريس فى نظامية نيسابور ، لا فى نظامية بغداد ، إذ كان فخر الملك وزيراً فى نيسابور لسنجر حاكم خراسان من قبل أخيه محمد بن ملكشاه .

ثم عاد إلى بيته ، واتخذ فى جواره مدرسة للطلبة وخانقاه للصوفية ، ووزع أوقاته على وظائف الحاضرين : من ختم القرآن ، ومجالسه ذوى القلوب ، والقعود للتدريس ؛ بحيث لا تخلو لحظة من لحظاته ولحظات من معه عن فائدة .

بعد عمر دام خمساً وخمسين سنة ، كان شاغله فيه العلم والعمل ، والتصنيف ، والدعوة إلى سبيل الله - توفى الإمام الغزالي ،

وذلك في يوم الاثنين الرابع عشر من شهر جمادى الآخرة سنة (٥٠٥ هـ) الموافق ١٨ ديسمبر سنة (١١١١ م) . وكان وفاته بطوس ، ودفن بظاهر قسبة الطابران^(١) .

* مؤلفاته :

خلف لنا الإمام الغزالي آثاراً مرموقة في مجالات عديدة . وتدل مؤلفاته على حسن التصنيف ، وجودة العبارة ، وبراعة التنسيق ، وغزارة المادة العلمية ، وخصوبة الفكر ، وقوة العقيدة .

والباحث في مصنفات الغزالي يكتشف أنه بإزاء شخصية متعددة الجوانب ، فقد شملت مؤلفاته معظم العلوم والمعارف السائدة في عصره .

ففي مجال الفقه نجد ألف كتاباً عديدة ، مثل « الوسيط » و « الوجيز » و « الخلاصة » . وله في أصول الفقه « المستصفى » .

وفي مجال المنطق نجد له كتاباً مشهوراً هو « معيار العلم » وفي مجال الفلسفة له « مقاصد الفلاسفة » و « تهافت الفلاسفة »

وفي التصوف له مؤلفات كثيرة ، أهمها « إحياء علوم الدين » و « منهاج العابدين » و « الرسالة اللدنية » . وللغزالي كتب كثيرة غير تلك التي ذكرناها في مجالات أخرى متنوعة ، ليس هنا مجال حصرها . ولكن يكفي أن نشير إلى أن الكتب المقطوع بصحة نسبتها

(١) إتحاف السادة المتقين ١ : ١١ ، والأعلام ٧ : ٢٢ ، ووفيات الأعيان ١ : ٤٦٣ ، وشذرات الذهب ٤ : ١٠ ، والوفاء بالوفيات ١ : ٢٧٧ ، ومفتاح السعادة ٢ : ١٩١ - ٢١٠ ، وتبيين كذب المفتري ٢٩١ - ٣٠٦ ، ودراسة الأستاذ : الخشت للمقصد الأسنى ص ٧ - ٨ ، طبعة مكتبة القرآن .

إلى الغزالي تبلغ ٧٢ كتاباً ، والكتب التي يدور شكُّ في صحة نسبتها إليه حوالى ٢٣ كتاباً . وإذا أراد القارىء تفصيلاً وافياً بمؤلفات الغزالي فله أن يرجع إلى :

M. Beuyges, Essai de chronologie des oeuvres de al Ghazali.
Beyrauth 1959.

(٢) د . عبدالرحمن بدوى : مؤلفات الغزالي . القاهرة
١٩٦١ م .



ثانياً : الكتاب

* نسبة الكتاب إلى الغزالي :

أسنده المرتضى إلى الغزالي ؛ حيث ذكر (« الإنحاف » ج ١ ص ٤٢ س ١٤ وما يليه - راجع الملحق برقم ٥٣) أنه يوجد ، إلى جانب النص الفارسي الكبير ، نص عربى صغير فى أربعة كراريس وعنده نسخة منه ، يقول : « كيمياء السعادة والعلوم - بالفارسية ، وهو كتاب كبير ، يقال إنه ترجم فيه كتاب « الإحياء » . وقد رأيته بمكة ... وكتاب آخر صغير بالعربية نحو أربعة كراريس سماه كذلك ، وهو عندى » .

كما أسنده إليه ما سينيون فى كتابه : « مجموع نصوص غير منشورة خاصة بتاريخ التصوف فى بلاد الإسلام » ، ص ٩٣ .

وإذا كان « بويج » يشك فى أن يكون النص العربى كتبه الغزالي نفسه ، فهذا لا أساس له من الصحة ؛ ذلك أن الناظر بإمعان فى هذا الكتاب - أعنى « كيمياء السعادة » النص العربى الصغير - يجد أن أسلوبه وطريقة تأليفه والآراء المبثوثة فيه متفقة تماماً مع سائر مؤلفات الغزالي . ولعل الاتفاق بين هذا المؤلف والمؤلفات الأخرى فى الأسلوب والآراء خير دليل على صحة نسبته إلى الغزالي . وفضلاً عن ذلك فقد ورد فى الكم الهائل من مخطوطات الكتاب الموجودة

في مكتبات العالم - إجماع على نسبة الكتاب لحجة الإسلام الغزالي .

* التمييز بين النص العربي والنص الفارسي :

يلاحظ أن « كيمياء السعادة » النص العربي الصغير - الذي بين أيدينا الآن - يختلف كلية عن « كيمياء سعادته » (فارسي) ؛ فذلك الأخير كتاب كبير يشابه « إحياء علوم الدين » حتى يمكن أن يقال إنه المقابل الفارسي للنص العربي « للإحياء » . ويتألف النص الفارسي « كيمياء سعادته » من أربعة أركان :

- (الركن الأول) في العبادة وهو عشرة أصول .
- (الركن الثاني) في آداب المعاملة وهو أيضاً عشرة أصول .
- (الركن الثالث) في رؤية عقبات الطريق وهو أيضاً عشرة أصول .

(الركن الرابع) في المنجيات وهو أيضاً في عشرة أصول .

* تاريخ تأليفه :

مما لا ريب فيه أن كتاب « كيمياء السعادة » النص العربي ، من كتب الغزالي التي ألفها في مرحلة متأخرة من حياته ، بعد اهتدائه إلى نظرية الكشف ، ووصوله إلى مرحلة الازدهار الفكري ، والصفاء الروحي والوجداني .

وإذا أردنا تاريخاً محدداً لتأليف كتاب « كيمياء السعادة » فقد توصل الأستاذ ماسينون في كتابه « مجموع نصوص غير منشورة خاصة بتاريخ التصوف في الإسلام » (باريس : سنة ١٩٢٩) أنه ألف في الفترة من بين ٤٩٢ - ٤٩٥ هـ . ومن مؤلفاته في تلك الفترة كتاب « الإحياء » (وقد بدأه قبل ذلك) ، وكتاب « المستصفى » ، وكتاب « منهاج العابدين » .

* مضمون الكتاب :

موضوع كتاب « كيمياء السعادة » النص العرني ، هو إرشاد الناس إلى طرق تحصيل السعادة ، وتعليمهم كيفية تطهير القلب من الأخلاق المذمومة وتحليلته بصفات الملائكة . وهو يتناول ذلك من خلال التحدث عن معرفة النفس ، وحقيقة القلب ، وحكمة خلقه ، ومعرفة عساكره ، وبيان الأمور التي تُبنى عليها السعادة ، وعجائب القلب وأحواله ، ومطالعة عالم الملكوت ، وبيان اللذات وتفاوتها وذكر أعظمها ... إلى غير ذلك من الموضوعات الهامة .

* مخطوطات الكتاب :

يوجد لكتاب « كيمياء السعادة » النص العرني مخطوطات كثيرة في مكتبات العالم ، نذكر منها :

- (١) دار الكتب المصرية ضمن مجموعة فيها « مشكاة الأنوار » و « أيها الولد » ط ١ ج ٢ ص ١٠٩ (برقم ١٨٤ تصوف) .
- (٢) دار الكتب المصرية ط ١٢ : ٣٥٠ .
- (٣) دار الكتب المصرية برقم ٢٥٣ تصوف من ورقة ٦٦ أ - ٧٧ أ .

- (٤) دار الكتب المصرية ، تصوف طلعت ، ضمن مجموعة (في ٩ ورقات) برقم ٧٢٢ .
- (٥) برلين ٣١٣٢ .
- (٦) أيا صوفيا ٢٠٢٣ / ٥ .
- (٧) الفاتح ٢٧٩٩ / ٢٨٠٠ .

(٨) كوبرلي ٧٦٩ .

(٩) الظاهرية : عام ٥٦١٠ ، ٥٧٣٥ .

(١٠) مانشستر فهرس منجانا ص ٧٩ بعنوان : كتاب معرفة

عنوان النفس ، برقم ٧١ (٣٦٤) ورقة ١٣١ - ١٤١ .

(١١) رامفور ١ : ٣٦٢ [٢٨٢ ب] ، ٣٦٤ [٢٥٨] .

(١٢) نوري عثمانية ٢٥٣٢ / ٨ .

* ترجمات للكتاب :

ترجم « كيمياء السعادة » إلى لغات عديدة ، نذكر منها :

(١) التركية : وتوجد منها مخطوطة في درسدن برقم ١٥ ،

وأبسالا برقم ٤٦٠ ؛ وطبعت في استانبول سنة ١٢٦٠ ، وقد قام بها مصطفى الواني (المتوفى سنة ١٠٠٠ هـ / ١٥٩١ م) .

(٢) وعن التركية ترجم إلى الانجليزية :

H.A. Homes: Tbe Alcbemy of Happiness, by M. al-Chazzali the Mohammedan philosopher, albany new york 1873.

(٣) وإلى الأردية في لوكنو سنة ١٣١٣ .

(٤) وإلى الإنجليزية أيضاً (عن الهندستانية) :

Al-Chazzali : Tbe Alcbemy of Happiness, Mendered into English by Cl. Field (wisdom of the East), London 1910.

(٥) وإلى الألمانية عن النصين الفارسي والعربي مختصراً :

Das Elixir der Gliickseligkeitaus pers. U. arabischen Quellen, in Auswahl übersetzt von H. Ritter. Jena, 1923.

* الطبع :

طبع النص العربي ضمن مجموعة رسائل في القاهرة سنة

١٣٢٨ ، سنة ١٣٤٣ ، سنة ١٣٩٣ هـ .

ولاحظت على هذه الطبقات أنها حافلة بكثير من الأخطاء والتحريفات والتصحيحات الخطيرة . هذا بالإضافة إلى أن كلماتها تناسب بعضها وراء بعض ، دون رعاية للفواصل وعلامات الترقيم ، مما يجعل معانى العبارات والجمل تتداخل بعضها في بعض ؛ فلا يستطيع القارئ أن يتابع قراءتها على هذا الحال وهو لا يدري أين يتدىء ولا أين ينتهى .

* منهج التحقيق :

١ - قمت برفع الأخطاء الموجودة في الأصول ، وخلصتها من شوائب التصحيف والتحريف ، وكتبت الكتاب وفقاً لقواعد الإملاء المعاصرة ، ونسخته ، ورتبته ، وقسمته إلى جمل وفقرات ؛ حتى يعرف القارئ أين يتدىء ، وأين ينتهى .

٢ - خرجت الآيات القرآنية .

٣ - خرجت الأحاديث النبوية تخرجاً علمياً .

٤ - شرحت الألفاظ الغريبة ، والمصطلحات التى يحتوئها الكتاب .

٥ - علقت على بعض المواضع التى اقتضت التعليق .

٦ - معظم الفصول التى كتبها الإمام الغزالي ليس لها عناوين ؛ ولذا فقد وضعت العناوين المناسبة ، ورمزت لها بهذه العلامة (*) ؛ حتى أميزها عن العناوين التى وضعها الغزالي .

٧ - قدمت للكتاب بدراسة عن الإمام الغزالي وكتابه
« كيمياء السعادة » الذى بين أيدينا الآن .

وما توفيقى إلا بالله ، عليه توكلت ، وإليه أنيب ..

محمد عبد العليم

القاهرة : شوال ١٤٠٧ هـ

يوليو ١٩٨٦ م



كَيْفِيَّةُ السَّجْدَةِ
لِجُمُعَةِ الْإِسْلَامِ د. مُحَمَّدٌ الْغَزَالِي

obeikandi.com

بسم الله الرحيم الرحيم

الحمد لله الذى أصعد قوالب الأصفياء بالمجاهدة^(١) ،
وأسعد قلوب الأولياء بالمشاهدة^(٢) ،
وحلى ألسنة المؤمنين بالذكر ،
وجلى خواطر العارفين بالفكر ،
وحرس سواد العباد عن الفساد ،
وحبس مراد الزهاد على السداد ،
وخلص أشباح المتقين من ظلم الشهوات ،
وصفى أرواح الموقنين عن ظلم الشبهات ،
وقبل أعمال الأخيار بأداء الصلوات ،
وأيد خصال الأحرار بإسداء الصلوات ..
أحمده حمد من رأى آيات قدرته وقوته ،

(١) المجاهدة : فى اللغة : المحاربة ، وفى الشرع : محاربة النفس الأتمة بالسوء بتحميلها ما يشق عليها بما هو مطلوب فى الشرع .
(٢) المشاهدة : تطلق على رؤية الأشياء بدلائل التوحيد ، وتطلق بإزائه على رؤية الحق فى الأشياء ، وذلك هو الوجه الذى له تعالى : بحسب ظاهره فى كل شئ .

وشاهد الشواهد من فردانيته ووحداثيته ،
 وطرق طوارق سره وبره ،
 وقطف ثمار معرفته من شجر مجده وجوده ،
 وأشكره شكر من اخترق واغترف من نهر فضله وإفضاله ،
 وأؤمن به إيمان من آمن بكتابه وخطابه ، وأنبيائه وأصفياه ،
 ووعدته ووعيده ، وثوابه وعقابه ..
 وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ،
 وأشهد أن محمداً عبده ورسوله :
 بعثه لأصلاّب^(١) الفسقة والفجرة قاصماً ،
 ولعرى^(٢) الجاحدين والمارقين^(٣) فاصماً^(٤) ،
 ولباغى الشك والشرك قاهراً ،
 ولأتباع الحق والإحسان ناصراً ؛
 فصلوات الله عليه ، وعلى آله ، وأصحابه أجمعين .

(١) الأصلاّب : جمع صُلب ، يقال : هو من صلب فلان : أى من ذريته .
 وفى التنزيل العزيز : ﴿ وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم ﴾ والصلب أيضاً : فقار
 الظهر . وفى التنزيل : ﴿ يخرج من بين الصلب والترائب ﴾ . وله معان أخرى . والمراد
 هنا : فقار الظهر .

(٢) عرى : جمع عروة ، وهى من الدلو أو الكوز : مقبضه . و - من الثوب :
 مدخل زرّه . و - ما يستمسك به ويعتصم (على المجاز) . وفى التنزيل العزيز : ﴿ فقد
 استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها ﴾ . والمراد هنا المعنى المجازى .

(٣) المارقون : جمع مارق ، وهو الخارج من دينه .

(٤) (فَصَمَّ) الشئ - فصماً : شقّه . و - صدّعه دون بينونة . و - العقدة :

فصل في معرفة النفس

اعلم أن مفتاح معرفة الله تعالى هو معرفة النفس ، كما قال سبحانه تعالى :

﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ﴾ (١) .

وقال النبي ﷺ : « من عرف نفسه فقد عرف ربه » (٢) .

وليس شيء أقرب إليك من نفسك ، فإذا لم تعرف نفسك ، فكيف تعرف ربك ؟

فإن قلت : إني أعرف نفسي !

فإنما تعرف الجسم الظاهر ، الذي هو اليد والرجل والرأس والجلثة ، ولا تعرف ما في باطنك من الأمر الذي به إذا غضبت طلبت

(١) فصلت : ٥٣ .

(٢) لا يُعرف هذا الحديث مرفوعاً ، وإنما يحكى عن يحيى بن معاذ الرازى - يعنى من قوله . وكذا قال النووي : إنه ليس بثابت . وقيل في تأويله : من عرف نفسه بالحدوث عرف ربه بالقدم ، ومن عرف نفسه بالفناء عرف ربه بالبقاء . انظر : السخاوى : « المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة » . دراسة وتحقيق : محمد عثمان الخشت ، إصدار دار الكتاب العربى ، حديث رقم ١١٤٩ .

الخصومة ، وإذا اشتيت طلبت النكاح ، وإذا جعت طلبت الأكل ،
وإذا عطشت طلبت الشرب .

والدواب تشاركك في هذه الأمور .

فالواجب عليك أن تعرف نفسك بالحقيقة ؛ حتى تدري أى
شئ أنت ، ومن أين جئت إلى هذا المكان ، ولأى شئ خلقت ،
وبأى شئ سعادتك ، وبأى شئ شقاؤك .

وقد جمعت في باطنك صفات :

منها صفات البهائم ،

ومنها صفات السباع ،

ومنها صفات الشياطين ،

ومنها صفات الملائكة ،

فألروح حقيقة جوهرك وغيرها غريب منك ، وعارية^(١)
عندك .

فالراجب عليك أن تعرف هذا ، وتعرف أن لكل واحد من
هؤلاء غذاء وسعادة .

فإن سعادة البهائم في الأكل ، والشرب ، والنوم ، والنكاح ،
فإن كنت منهم فاجتهد في أعمال الجوف والفرج .

وسعادة السباع في الضرب ، والفتك .

وسعادة الشياطين في المكر ، والشر ، والحيل . فإن كنت منهم
فاشتغل باشتغالهم .

(١) العارية : ما تُعطيه غيرك على أن يعيده إليك . يقال : كل عارة (أى عارية)
مُستَرَدَّة .

وسعادة الملائكة في مشاهدة جمال الحضرة الربوبية ، وليس للغضب والشهوة إليهم طريق . فإن كنت من جوهر الملائكة ، فاجتهد في معرفة أصلك ؛ حتى تعرف الطريق إلى الحضرة الإلهية ، وتبلغ إلى مشاهدة الجلال والجمال ، وتخلص نفسك من قيد الشهوة والغضب ، وتعلم أن هذه الصفات لأى شئ ركبت فيك ؛ فما خلقها الله تعالى لتكون أسيرها ، ولكن خلقها حتى تكون أسراك ، وتسخرها للسفر الذى قدامك ، وتجعل إحداها مركبك ، والأخرى سلاحك ؛ حتى تصيد بها سعادتك . فإذا بلغت غرضك فقاوم بها تحت قدميك ، وارجع إلى مكان سعادتك . وذلك المكان قرار خواص الحضرة الإلهية ، وقرار العوام درجات الجنة .

فتحتاج إلى معرفة هذه المعانى ؛ حتى تعرف من نفسك شيئاً قليلاً ؛ فكل من لم يعرف هذه المعانى فنصيبه من القشور ؛ لأن الحق يكون عنه محجوباً .



obeikandi.com

فصل كيف تعرف نفسك ؟

إذا شئت أن تعرف نفسك ، فاعلم أنك من شيئين :
الأول : هذا القلب ،

والثاني : يسمى النفس والروح .

والنفس هو القلب الذى تعرفه بعين الباطن ، وحقيقتك الباطن ؛ لأن الجسد أول وهو الآخر ، والنفس آخر وهو الأول ، ويسمى قلباً .

وليس القلب هذه القطعة اللحمية التى فى الصدر من الجانب الأيسر ؛ لأنه يكون فى الدواب والموتى . وكل شئ تبصره بعين الظاهر فهو من هذا العالم الذى يسمى عالم الشهادة .

وأما حقيقة القلب ، فليس من هذا العالم ، لكنه من عالم الغيب ؛ فهو فى هذا العالم غريب ، وتلك القطعة اللحمية مركبة ، وكل أعضاء الجسد عساكره وهو الملك ، ومعرفة الله ومشاهدة جمال الحضرة - صفاته ، والتكليف عليه ، والخطاب معه ، وله الثواب ، وعليه العقاب ، والسعادة والشقاء تلحقانه ، والروح الحيوانى فى كل شئ تبعه ومعه .

ومعرفة حقيقته ، ومعرفة صفاته ، مفتاح معرفة الله سبحانه
وتعالى ؛ فعليك بالمجاهدة حتى تعرفه ؛ لأنه جوهر عزيز من جنس
جواهر الملائكة ، وأصل معدنه من الحضرة الإلهية ، من ذلك المكان
جاء ، وإلى ذلك المكان يعود .



فصل ما حقيقة القلب ؟

أما سؤالك : ما حقيقة القلب ؟

فلم يجيء في الشريعة أكثر من قول الله تعالى : ﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي ﴾ ^(١) . لأن الروح من جملة القدرة الإلهية ، وهو من عالم الأمر ، قال الله عن وجل : ﴿ ألا أنه الخلق والأمر ﴾ ^(٢) .

فالإنسان من عالم الخلق من جانب ، ومن عالم الأمر من جانب ؛ فكل شيء يجوز عليه المساحة والمقدار والكيفية فهو من عالم الخلق . وليس للقلب مساحة ولا مقدار ؛ ولهذا لا يقبل القسمة ، ولو قبل القسمة لكان من عالم الخلق ، وكان من جانب الجهل جاهلاً ومن جانب العلم لماً ، وكل شيء يكون فيه علم وجهل فهو محال . وفي معنى آخر هو من عالم الأمر ؛ لأن عالم لأمر عبارة عن شيء من الأشياء لا يكون للمساحة والتقدير طريق إليه .

(١) الإسراء : ٨٥ .

(٢) الأعراف : ٥٤ .

وقد ظن بعضهم : « أن الروح قديم » فغلطوا .

وقال قوم : « إنه عرض »^(١) ، فغلطوا ؛ لأن العرض لا يقوم بنفسه ، ويكون تابِعاً لغيره . فالروح هو أصل ابن آدم ، وقالب ابن آدم تبع له ؛ فكيف يكون عرضاً ؟!

وقال قوم : « إنه جسم » ، فغلطوا ؛ لأن الجسم يقبل القسمة . فالروح الذى سميناه قلباً ، وهو محل معرفة الله تعالى ، ليس بجسم ، ولا عرض ، بل هو من جنس الملائكة .

ومعرفة الروح صعبة جداً ؛ لأنه لم يرد فى الدين طريق إلى معرفته ؛ لأنه لا حاجة فى الدين إلى معرفته ؛ لأن الدين هو المجاهدة ، والمعرفة علامة الهداية كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾^(٢) . ومن لم يجتهد حق اجتهاده لم يجز أن يتحدث معه فى معرفة حقيقة الروح . وأول أس^(٣) المجاهدة أن تعرف عسكر القلب ؛ لأن الإنسان إذا لم يعرف العسكر لم يصح له الجهاد .



(١) العرض : ما قام بغيره ، ويقابل الجوهر والذات ، فالجسم جوهر واللون عرض . أو ما لا يدخل فى تقويم الذات كالقيام والقعود بالنسبة للإنسان . وفى « التعريفات » : هو الموجود الذى يحتاج فى وجوده الى مسمى ، أى محل ، يقوم به ، كاللون يحتاج فى وجوده إلى جسم يحله ويقوم به .

(٢) العنكبوت : ٦٩ .

(٣) الأسُّ - الإسُّ - الأسُّ : الأساس . يقال : قلعه من أسه ، والجمع : إساس ، وآساس .

فصل لماذا خُلق القلب ؟

اعلم أن النفس مركب القلب ، وللقب عساكر ، كما قال
سبحانه وتعالى :

﴿ وما يعلم جنود ربك إلا هو ﴾^(١)

والقلب مخلوق لعمل الآخرة طلباً لسعادته ، وسعادته معرفة ربه
عز وجل ، ومعرفة ربه تعالى تحصل له من صنع الله ، وهو من جملة
عالمه ، ولا تحصل له معرفة عجائب العالم إلا من طريق الحواس ،
والحواس من القلب ، والقلب مركبه . ثم معرفة صيده ، ومعرفة
شبكة ، والقلب لا يقوم إلا بالطعام ، والشراب ، والحرارة ،
والرطوبة . وهو ضعيف على خطر من الجوع والعطش في الباطن ،
وعلى خطر من الماء والنار في الظاهر ، وهو مقابل أعداء كثيرة .



(١) المدثر : ٣١ .

فصل معرفة عساكر القلب

وتحتاج أن تعرف العسكريين :

وذلك أن العسكر الظاهر هو : الشهوة والغضب ؛ ومنازلهم في اليدين ، والرجلين ، والعينين ، والأذنين ، وجميع الأعضاء .

وأما العسكر الباطن ، فمنازله في الدماغ ، وهو قوى الخيال ، والتفكر ، والحفظ ، والتذكر ، والوهم . ولكل قوة من هذه القوى عمل خاص . فإن ضعف واحد منهم ضعف حال ابن آدم في الدارين .

وجملة هذين العسكريين في القلب ، وهو أميرهما ؛ فإن أمر اللسان أن يذكر ذكر ، وأن أمر اليد أن تبطش ببطشت ، وإن أمر الرجل أن تسعى سعت ، وكذلك الحواس الخمس حتى يحفظ نفسه ؛ كيما يدخر الزاد للدار الآخرة ، ويحصل الصيد ، وتم التجارة ، ويجمع بذر السعادة .

وهؤلاء طائعون للقلب ، كما أن الملائكة طائعون للرب سبحانه وتعالى لا يخالفون أمره .

فصل فى معرفة القلب وعسكره

اعلم أنه قيل فى المثل المشهور : إن النفس كالمدينة ، واليدين والقدمين وجميع الأعضاء ضياعها ، والقوة الشهوانية واليها ، والقوة الغضبية شحنتها^(١) ، والقلب ملكها ، والعقل وزيرها . والملك يدبرهم حتى تستقر مملكته وأحواله ؛ لأن الوالى وهو الشهوة كذاب فضولى مخلط ، والشحنة - وهو الغضب - شرير قتال خراب . فإن تركهم الملك على ما هم عليه ، هلكت المدينة وخربت ؛ فيجب أن يشاور الملك الوزير ، ويجعل الوالى والشحنة تحت يد الوزير . فإذا فعل ذلك استقرت أحوال المملكة وتعمرت المدينة . وكذلك القلب يشاور العقل ، ويجعل الشهوة والغضب تحت حكمه ، حتى تستقر أحوال النفس ، ويصل إلى سبب السعادة من معرفة الحضرة الإلهية .

(١) الشُّحْنَةُ : العداوة والبغضاء . و - الجماعةُ يقيمها السلطان فى بلدٍ ما لضبطه . و - ما تشحن به السفينة ونحوها . و - ما يجمع من طعام ونحوه ليكفى وقتاً قتلوماً .

ولو جعل العقل تحت يد الغضب والشهوة ، هلكت نفسه ، وكان
قلبه شقيماً في الآخرة^(١) .



(١) من الملاحظ أن الإمام الغزالي في تقسيمه للنفس قد استفاد من أفلاطون ؛
ذلك أن أفلاطون في محاوره « الجمهورية » يرى أن للنفس قوى ثلاثاً : الناطقة ،
والغضبية ، والشهوانية . كما أننا نجد عند أفلاطون تشابهاً قوياً بين النفس والمدينة ؛ حيث
إن للمدينة ثلاث وظائف : الإدارة ، والدفاع ، والإنتاج ؛ تقابل قوى النفس الثلاث
المذكورة آنفاً .

فصل وظيفة القلب

اعلم أن الشهوة والغضب خادمان للنفس جاذبان يحفظان أمر الطعام والشراب والنكاح لعمل الحواس .

ثم النفس خادم الحواس شبكة العقل وجواسيسه يبصر بها صنائع الباريء جلّت قدرته .

ثم الحواس خادم العقل ، وهو للقلب سراج وشمعة يبصر بنوره الحضرة الإلهية ؛ لأن الجنة وهى نصيب الجوف أو الفرج محتقرة فى جنب تلك الجنة .

ثم العقل خادم القلب ، والقلب مخلوق لنظر جمال الحضرة الإلهية .

فمن اجتهد فى هذه الصنعة ، فهو عبد حق ، من غلمان^(١) الحضرة ، كما قال سبحانه وتعالى :

(١) الغلمان : جمع غلام ، وهو الطائر الشارب . و - الصبى من حين يولد إلى أن يشب ، ويطلق على الرجل مجازاً . و - الخادم .

﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾^(١) .

معناه : إنا خلقنا القلب ، وأعطيناه الملك والعسكر ، وجعلنا النفس مركبه ؛ حتى يسافر عليه من عالم التراب إلى أعلى عليين .

فإذا أراد أن يؤدي حق هذه النعمة ، جلس مثل السلطان في صدر مملكته ، وجعل الحضرة الإلهية قبلته ومقصده ، وجعل الآخرة وطنه وقراره ، والنفس مركبه ، والدنيا منزله ، واليدين والقدمين خدامه ، والعقل وزيره ، والشهوة عامله ، والغضب شحنته ، والحواس جواسيسه . وكل واحد موكل بعالم من العوالم يجمع له أحوال العوالم . وقوة الخيال في مقدم الدماغ كالنقيب^(٢) يجمع عنده أخبار الجواسيس ، وقوة الحفظ في وسط الدماغ مثل صاحب الخريطة يجمع الرقاع من يد النقيب ويحتفظها إلى أن يعرضها على العقل . فإذا بلغت هذه الأخبار إلى الوزير يرى أحوال المملكة على مقتضاها .

فإذا رأيت واحداً منهم قد عصى عليك ، مثل الشهوة والغضب ، فعليك بالمجاهدة ، ولا تقصد قتلها ؛ لأن المملكة لا تستقر إلا بهما .

فإذا فعلت ذلك كنت سعيداً ، وأديت حق النعمة ، ووجبت لك الخُلعة في وقتها ، وإلا كنت شقياً ، ووجب عليك النكال^(٣) والعقوبة .

(١) الذاريات : ٥٦ .

(٢) النقيب : كبير القوم المعنى بشئونهم . وفي التنزيل العزيز : ﴿ وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً ﴾ .

(٣) النكال : العقاب . وفي التنزيل الكريم : ﴿ فجعلناها نكالاً لما بين يديها وما خلفها ﴾ و : ﴿ جزاء بما كسبوا نكالاً من الله ﴾ .

فصل ثلاثة أشياء تُبنى عليها السعادة

تمام السعادة مبني على ثلاثة أشياء :

(١) قوة الغضب ،

(٢) قوة الشهوة ،

(٣) قوة العلم .

فيحتاج أن يكون أمرها متوسطاً ؛ لئلا تزيد قوة الشهوة فتخرجه إلى الرخص فيهلك ، أو تزيد قوة الغضب فتخرجه إلى الجموح فيهلك .

فإذا توسطت القوتان بإشارة قوة العلم دلّ على طريق الهداية ، وكذلك الغضب إذا زاد سهل عليه الضرب والقتل ، وإذا نقص ذهبت الغيرة والحمية في الدين والدنيا ، وإذا توسط كان الصبر والشجاعة والحكمة . وكذا الشهوة إذا زادت كان الفسق والفجور ، وإن نقصت كان العجز والفتور ، وإن توسطت كان العفة والقناعة وأمثال ذلك .

فصل أحوال القلب مع عسكره

اعلم أن للقلب مع عسكره أحوالاً وصفات ، بعضها يسمى أخلاق السوء ، وبعضها أخلاق الحسن .

فبالأخلاق الحسنة يبلغ درجة السعادة ، وبالأخلاق السيئة هلاكه وخروجه للشقاء .

وهذه كلها تبلغ أربعة أجناس :

(١) أخلاق الشياطين ،

(٢) أخلاق البهائم ،

(٣) أخلاق السباع ،

(٤) أخلاق الملائكة .

فأعمال السوء : من الأكل والشرب ، والنوم ، والنكاح ؛ هي أخلاق البهائم .

وكذلك أعمال الغضب : من الضرب ، والقتل ، والخصومة هي أخلاق السباع .

وكذلك أعمال النفس : وهي المكر ، والحيلة ، والغش ، وغير ذلك ؛ هي أخلاق الشياطين .

وكذلك أعمال العقل ؛ التي هي الرحمة ، والعلم ، والخير ؛ هي أخلاق الملائكة .

فصل الأخلاق الحسنة والأخلاق القبيحة

واعلم أن في جلد ابن آدم أربعة أشياء :

- (١) الكلب ،
- (٢) الخنزير ،
- (٣) الشيطان ،
- (٤) الملك .

والكلب مذموم في صفاته ، وليس بمذموم في صورته .
وكذلك الشيطان والملائكة ، ذمهم ومدحهم في صفاتهم ، وليس
ذلك في صورهم وخلقهم . وكذلك الخنزير مذموم في صفاته ،
وليس بمذموم في خلقته .

وقد أمر ابن آدم بأن يكشف ظلم الجهل بنور العقل ؛ خوفاً
من الفتنة ، كما قال النبي ﷺ : « ما من أحد إلا وله شيطان ، ولي
شيطان ، وأن الله قد أعانني على شيطاني حتى أسلم »^(١) .

(١) مسلم : كتاب المنايق ، حديث ٦٩ - ٧٠ . والترمذي : كتاب
الرضاع ، باب ١٧ . والنسائي : نساء ٤ . والدارمي : كتاب الرقاق ،

وكذلك الشهوة والغضب ، ينبغي أن يُكونا تحت يد العقل ،
فلا يفعلوا شيئاً إلا بأمره ، فإن فعل ذلك صح له حسن الأخلاق ،
وهي صفات الملائكة ، وهي بذور السعادة . وإن عمل بخلاف ذلك ،
فخدم الشهوة والغضب ، صح له الأخلاق القبيحة ، وهي صفات
الشياطين ، وهي بذور الشقاء . فيتبين له في نومه كأنه قائم مشدود
الوسط يخدم الكلب والخنزير ، وكان مثله كمثله رجل مسلم يأخذ
رجالاً مسلمين يحبسهم عند كافرين . فكيف يكون حالك يوم القيامة
إذا حبست الملك - وهو العقل - تحت يد الشهوة والغضب ، وهما
الكلب والخنزير ؟



= باب ٢٥ ، ٦٦ . وأحمد : الجزء الأول ، ص ٢٥٧ ، ٣٩٧ ، ٤٠١ ، ٤٦٠ . والجزء
الثالث ، ٣٠٩ .

فصل هل الصور تابعة للمعاني ؟

واعلم أن الإنسان في صورة ابن آدم اليوم ، وغداً تنكشف له المعاني ، فتكون الصور في معنى المعاني .

فأما الذى غلب عليه الغضب ، فيقوم في صورة الكلب .
وأما الذى غلب عليه الشهوة ، فيقوم في صورة الخنزير ؛ لأن الصور تابعة للمعاني . وإنما يبصر النائم في نومه ما صح في باطنه .
وإنما عرفت أن الإنسان في باطنه هذه الأربعة ، فيجب أن يراقب حركاته وسكناته ، ويعرف من أى الأربعة هو ؛ فإن صفاته تحصل في قلبه وتبقى معه إلى يوم القيامة . وإن بقى من جملة الباقيات الصالحات شيء فهو بذر السعادة ، وإن بقى معه غير ذلك فهو بذر الشقاء .

وابن آدم لا ينفك ولا ينفصل عن حركة أو سكون ، وقلبه مثل الزجاج ، وأخلاق السوء كالدخان والظلمة ، فإذا وصل إليه ذلك أظلم عليه طريق السعادة . وأخلاق الحسن كالنور والضوء ، فإذا وصل إلى القلب طهره من ظلم المعاصي ، كما قال رسول الله ﷺ :

« أَتْبَعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا » ^(١) . والقلب إما مضىء أو مظلم ،
ولا ينجو إلا من أتى الله بقلب سليم .



(١) الترمذى : كتاب البرّ ، باب ٥٥ . والدارمى : كتاب الرقاق ، باب ٧٤ .
وأحمد : الجزء الخامس ، ص ١٥٣ ، ١٥٨ ، ١٦٩ ، ١٧٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣٦ .

فصل في عجائب القلب

اعلم أن للقلب باين للعلوم :
واحد للأحلام ،
والثاني لعالم اليقظة .

وهو الباب الظاهر إلى الخارج ، فإن نام غلق باب الحواس ،
فيفتح له باب الباطن ويكشف له غيب من عالم الملكوت^(١) ،
ومن اللوح المحفوظ ؛ فيكون مثل الضوء ، وربما احتاج كشفه إلى
شيء من تعبير الأحلام^(٢) . وأما ما كان من الظاهر ، فيظن الناس
أن به اليقظة ، وأن اليقظة أولى بالمعرفة ، مع أنه لا يبصر في اليقظة
شيء من عالم الغيب ، وما يبصر بين النوم واليقظة أولى بالمعرفة
مما يبصر من طريق الحواس .

(١) عالم الملكوت : هو عالم الغيب المختص بالأرواح والنفوس . أما عالم الملك :
فهو عالم الشهادة من المحسوسات الطبيعية .
(٢) أى تفسير الأحلام .

فصل القلب مثل المرأة

وتحتاج أن تعرف في ضمن ذلك أن القلب مثل المرأة ، واللوح المحفوظ مثل المرأة أيضاً ؛ لأن فيه صورة كل موجود ، وإذا قابلت المرأة بمرآة أخرى حلت صور ما في إحدهما في الأخرى ، وكذلك تظهر صور ما في اللوح المحفوظ إلى القلب إذا كان فارغاً من شهوات الدنيا ، فإن كان مشغولاً بها كان عالم الملكوت محجوباً عنه ، وإن كان في حال النوم فارغاً من علائق الحواس طالع جواهر عالم الملكوت ؛ فظهر فيه بعض الصور التي في اللوح المحفوظ .

وإذا أغلق باب الحواس كان بعده الخيال ؛ لذلك يكون الذى يبصره تحت ستر القشر ، وليس كالحق الصريح مكشوفاً . فإذا مات - أى القلب - بموت صاحبه لم يبق خيال ولا حواس . وفي ذلك الوقت يبصر بغير وهم وغير خيال ، ويقال له : ﴿ فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ﴾^(١) .

(١) ق : ٢٢

فصل متى يُخَجَّب القلب عن مطالعة عالم الملكوت ؟

واعلم أنه ما من أحد إلا ويدخل في قلبه الخاطر^(١) المستقيم ،
وبيان الحق على سبيل الإلهام^(٢) .

وذلك لا يدخل من طريق الحواس ، بل يدخل في القلب ،
لا يعرف من أين جاء ؛ لأن القلب من عالم الملكوت ، والحواس
مخلوقة لهذا العالم « عالم الملك » . فلذلك يكون حجابها عن مطالعة
ذلك العالم إذا لم يكن فارغاً من شغل الحواس .



(١) الخاطر : معرفة عفوية تخطر بالذهن لأول وهلة .

(٢) الإلهام : ما وقع في القلب من علم ، وهو يدعو إلى العمل من غير استدلال

بآية ، ولا نظر في حجة . وهو ليس بحجة عند العلماء ، إلا عند الصوفيين .

فصل متى يطالع القلب عالم الملكوت ؟

ولا تظنن أن هذه الطاقة تنفتح بالنوم والموت فقط ، بل تنفتح باليقظة لمن أخلص الجهاد والرياضة ، وتخلص من يد الشهوة والغضب والأخلاق القبيحة والأعمال الرديئة .

فإذا جلس في مكان خال ، وعطل طريق الحواس ، وفتح عين الباطن وسمعه ، وجعل القلب في مناسبة عالم الملكوت ، وقال دائماً : « الله - الله - الله » بقلبه ، دون لسانه ، إلى أن يصير لا خبر معه من نفسه ، ولا من العالم ، ويبقى لا يرى شيئاً إلا الله سبحانه وتعالى - انفتحت تلك الطاقة ، وأبصر في اليقظة الذي يبصره في النوم ؛ فتظهر له أرواح الملائكة ، والأنبياء ، والصور الحسنة الجميلة ، وانكشف له ملكوت السموات والأرض ، ورأى ما لا يمكن شرحه ولا وصفه ، كما قال النبي ﷺ : « زويت لى الأرض ، فرأيت مشارقها ومغاربها »^(١) وقال الله عز وجل : ﴿ وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات

(١) مسلم : كتاب الفتن ، حديث رقم ١٩ . وأبو داود : كتاب الفتن ، باب ١ . والترمذى : كتاب الفتن ، باب ١٤ . وابن ماجه : كتاب الفتن ، باب ٩ . وأحمد : الجزء الخامس ؛ ص ٢٧٨ ، ٢٨٤ ؛ والجزء الرابع ، ص ١٢٣ .

والأرض ﴿١﴾ . لأن علوم الأنبياء عليهم السلام كلها كانت من هذا الطريق ، لا من طريق الحواس ، كما قال سبحانه وتعالى : ﴿واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلاً﴾ (٢) ، معناه : الانقطاع عن كل شيء ، وتطهير القلب من كل شيء ، والابتغال إليه سبحانه وتعالى بالكلية . وهو طريق الصوفية (٣) في هذا الزمان . وأما طريق التعليم ، فهو طريق العلماء . وهذه الدرجة الكبيرة مختصرة من طريق النبوة ، وكذلك علم الأولياء ؛ لأنه وقع في قلوبهم بلا واسطة من حضرة الحق ، كما قال سبحانه وتعالى : ﴿آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علماً﴾ (٤) .

(١) الأنعام : ٧٥ .

(٢) المزمل : ٨ .

(٣) يلاحظ أن طريق الصوفية الذي يشير إليه الغزالي هنا هو الذي يمثل صوفية معتدلون في آرائهم وسلوكهم ؛ حيث يربطون بين تصوفهم وبين الكتاب والسنة بصورة واضحة ، وإن شئت قلت : يزنون تصوفهم دائماً بميزان الشريعة ، وكان بعضهم من علمائهم المرموقين .

أما التصوف المنحرف عن الكتاب والسنة فلا يقصده الغزالي هنا مطلقاً ، وأعنى به التصوف الشطحي والتصوف الفلسفي ؛ فهذان النوعان الآخران من التصوف لاشك في انحرافهما عن صفاء تعاليم الإسلام ؛ ذلك أن أصحابها استسلموا لأحوال الفناء ، ونطقوا بعبارات غريبة ، عرفت بالشطحيات . وكانت لهم تصورات لعلاقة الإنسان بالله كالاتحاد والحلول ، وقال بعضهم بوحدة الوجود والوحدة المطلقة ، وتصوفهم لا يخلو من بعض المنازع (الميتافيزيقية) في صورة بسيطة .

إذن فإننا نستطيع أن نقسم التصوف - بوجه ما - إلى قسمين : أحدهما الملتزم بالكتاب والسنة - وهو ما يقصده الغزالي هنا . وثانيهما المنحرف عن الكتاب والسنة ، وهو ما لا يريده الغزالي ، بل يرفضه .

(٤) الكهف : ٦٥ .

وهذه الطريقة لا تفهم إلا بالتجربة ، وإن لم تحصل بالذوق^(١)
لم تحصل بالتعليم . والواجب التصديق بها حتى لا تحرم شعاع
سعادتهم ، وهو من عجائب القلب . ومن لم يبصر لم يصدق ،
كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم
تأويله ﴾^(٢) ، وقوله : ﴿ وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك
قديم ﴾^(٣) .



(١) الذوق : المراد به هنا : نور عرفاني يقذفه الحق بتجليه في قلوب أوليائه ،
يفرقون به بين الحق والباطل من غير أن ينقلوا ذلك من كتاب أو غيره .
(٢) يونس : ٣٩ .
(٣) الأحقاف : ١١ .

فصل مَنْ طلب وجد

ولا تحسب أن هذا خاص بالأنبياء والأولياء ؛ لأن جوهر ابن آدم في أصل الخلقة موضوع لهذا كالحديد لأن يعمل منه مرآة ينظر فيها صورة العالم ، إلا الذي صدأ فيحتاج إلى إجلاء ، أو جذب فيحتاج إلى صقل أو سبك لأنه قد تلف .

وكذلك كل قلب إذا غلب عليه الشهوات والمعاصي لم يبلغ هذه الدرجة وإن لم تغلب عليه تلك الدرجة ، كما قال النبي ﷺ : ﴿ ما من مولود إلا يولد على الفطرة ﴾^(١) ، وقال الله تعالى : ﴿ وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى ﴾^(٢) . وكذلك بنو آدم في فطرتهم التصديق بالربوبية كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ فطرت الله التي فطر الناس عليها ﴾^(٣) ، والأنبياء والأولياء هم بنو

(١) البخارى : كتاب الجنائز ، باب ٨٠ ؛ وتفسير سورة - الروم ، باب ١ ؛ وكتاب القدر ، باب ٣ . ومسلم : كتاب القدر ، حديث ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ . وأحمد : الجزء الثانى ، ص ٣١٥ ، ٣٤٦ .

(٢) الأعراف : ١٧٢ .

(٣) الروم : ٣٠ .

آدم ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم ﴾^(١) .

فكل من زرع حصد ، ومن مشى وصل ، ومن طلب وجد ،
والطلب لا يحصل إلا بالمجاهدة : طلب شيخ بالغ عارف قد مشى في
هذا الطريق وإذا حصل هذان الشيئان لأحد ، فقد أراد الله له التوفيق
والسعادة بحكم أزلى حتى يبلغ إلى هذه الدرجة .



(١) الكهف : ١١٠ .

فصل ما هي أعظم اللذات ؟

إن اللذة والسعادة لابن آدم - معرفة الله سبحانه وتعالى .
اعلم أن سعادة كل شيء ولذته وراحته تكون بمقتضى طبعه ،
وطبع كل شيء ما خلق له ؛ فلذة العين في الصور الحسنة ، ولذة الأذن
في الأصوات الطيبة ، وكذلك سائر الجوارح بهذه الصفة . ولذة
القلب خاصة بمعرفة الجوارح بهذه الصفة . ولذة القلب خاصة
بمعرفة الله سبحانه وتعالى ؛ لأنه مخلوق لها .

وكل ما لم يعرفه ابن آدم إذا عرفه فرح به ، مثل لعبة
الشطرنج ، إذا عرفها فرح بها ، ولو نهي عنها لم يتركها ولا يبقى له
عنها صبر . وكذلك إذا وقع في معرفة الله سبحانه وتعالى ، وفرح بها ،
ولم يصبر عن المشاهدة ؛ لأن لذة القلب المعرفة .

وكلما كانت المعرفة أكبر كانت اللذة أكبر . ولذلك
فإن الإنسان إذا عرف الوزير فرح ، ولو عرف الملك لكان أعظم
فرحاً .

وليس موجود أشرف من الله سبحانه وتعالى ؛ لأن شرف كل موجود به ومنه ، وكل عجائب العالم آثار صنعته ؛ فلا معرفة أعز من معرفته ، ولا لذة أعظم من لذة معرفته ، وليس منظر أحسن من منظر حضرته .

وكل لذات شهوات الدنيا متعلقة بالنفس ، وهي تبطل بالموت .

ولذة معرفة الربوبية متعلقة بالقلب ، فلا تبطل بالموت ؛ لأن القلب لا يهلك بالموت ، بل تكون لذته أكثر ، وضوؤه أكبر ؛ لأنه خرج من الظلمة إلى الضوء .



فصل النفس مختصرة من العالم

واعلم أن نفس ابن آدم مختصرة من العالم ، وفيها من كل صورة في العالم أثر منه ؛ لأن هذه العظام كالجبال ، ولحمه كالتراب ، وشعره كالنبات ، ورأسه كالسماء ، وحواسه مثل الكواكب . وتفصيل ذلك طويل .

وأيضاً فإن في باطنه صناع العالم ؛ لأن القوة في المعدة كالطباخ ، والتي في الكبد كالخباز ، والتي في الأمعاء كالقصار^(١) ، والتي تبيض اللبن وتحمر الدم كالصباغ . وشرح ذلك يطول .

والمقصود أن تعلم كم في باطنك من عوالم مختلفة كلهم مشغولون بخدمتك ، وأنت في غفلة عنهم ، وهم لا يستريحون ، ولا تعرفهم أنت ، ولا تشكر من أنعم عليك بهم !!

(١) القصار : المبيضُ لثياب . وهو الذى يهوى النسيج بعد نسجه ببله ودقه بالقصرة .

فصل في معرفة تركيب الجسد ومنافع الأعضاء التي يقال عنها في علم التشريح

وهو علم عظيم ، والخلق غافلون عنه ، وكذلك علم الطب .
فكل من أراد أن ينظر في نفسه وعجائب صنع الله تعالى فيها يحتاج
إلى معرفة ثلاثة أشياء من الصفات الإلهية :

الأولى : أن يعرف أن خالق الشخص قادر على الكمال ، وليس
بعاجز ، وهو الله سبحانه وتعالى . وليس عمل في العالم بأعجب
من خلق الإنسان من ماء مهين^(١) ، وتصوير هذا الشخص بهذه
الصورة العجيبة ، كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ إنا خلقنا الإنسان من
نطفة أمشاج نبتليه ﴾^(٢) ؛ فإعادته بعد الموت أهون عليه ؛ لأن
الإعادة أسهل من الابتداء .

الثانية : معرفة علمه سبحانه وتعالى ، وأنه محيط بالأشياء
كلها ؛ لأن هذه العجائب والغرائب لا تمكن إلا بكمال العلم .

(١) ماء مهين : أى مَنَى ضعيف حقير .

(٢) الإنسان : ٢ .

الثالثة : أن تعلم أن لطفه ورحمته وعنايته متعلقة بالأشياء كلها ، وأنها لا نهاية لها ؛ لما ترى في النبات والحيوان والمعادن من سعة القدرة وحسن الصور والألوان .



فصل في تفصيل خلقه بنى آدم

لأنها مفتاح معرفة الصفات الإلهية ، وهو علم شريف . وذلك معرفة عجائب الصنائع الإلهية ، ومعرفة عظم الله - سبحانه وتعالى - وقدرته .

وهو مختصر معرفة القلب ، وهو علم شريف ؛ إذ هو معرفة الصنائع الإلهية ؛ لأن النفس كالفرس ، والعقل كالراكب ، وجماعهما الفارس . ومن لم يعرف نفسه ، وهو يدعى معرفة غيره ، فهو كالرجل المفلس الذى ليس له طعام لنفسه وهو يدعى أنه يقوت فقراء المدينة ، فهذا محال .



فصل متى تفضل البهائم ابن آدم ؟

إذا عرفت هذا العز ، والشرف ، والكمال ، والجمال ، والجلال ؛ بعد أن عرفت جوهر القلب أنه جوهر عزيز ، قد وهب لك ، وبعد ذلك خفى عنك .. فإن لم تطلبه ، وغفلت عنه ، وضعته ، كان ذلك حسرة عظيمة عليك يوم القيامة ؛ فاجتهد في طلبه ، واترك أشغال الدنيا كلها .

وكل شرف لم يظهر في الدنيا ، فهو في الآخرة فرح بلا غم ، وبقاء بلا فناء ، وقدرة بلا عجز ، ومعرفة بلا جهل ، وجمال وجلال عظيمان .

وأما اليوم ، فليس شيء أعجز منه ؛ لأنه مسكين ناقص . وإنما الشرف غداً ، إذا طرح من هذه الكيمياء على جوهر قلبه ، حتى يخلص منه شبه البهائم ، ويبلغ درجة الملائكة . فإن رجع إلى شهوات الدنيا ، فضلت عليه البهائم يوم القيامة ؛ لأنها تصير إلى التراب ، ويبقى هو في العذاب .. نعوذ بالله من ذلك ، ونستجير به ، وهو نعم المولى ونعم النصير . والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

obeikandi.com

سلسلة

اخترت لك من التراث

صدر منها :

١ - الثبات عند الممات

للمحافظ أبي الفرج عبد الرحمن ابن
الجوزى .
تحقيق : عبد اللطيف عاشور .

٢ - فتاوى النساء

شيخ الاسلام ابن تيميه .
تحقيق : إبراهيم محمد الجمل .

٣ - يوم الفزع الأكبر

للامام القرطبي .
تحقيق : محمد إبراهيم سليم .

٤ - فتاوى رسول الله ﷺ

للامام الجليل ابن قيم الجوزية .
تحقيق : مصطفى عاشور .

٥ - قصة السحر والسحرة
في القرآن الكريم

للامام محمد الرازى فخر الدين
تحقيق : محمد إبراهيم سليم .

٦ - طبائع النساء

للفقيه أحمد بن محمد بن عبد ربه
الأندلسي .

تحقيق : محمد إبراهيم سليم .

٧ - تفسير الاحلام

للامامين الجليلين

ابن سيرين والناقلي .

تحقيق : إبراهيم محمد الجمل .

٨ - المنهيات

لأبي عبد الله محمد بن علي الحكيم
الترمذي .

تحقيق : محمد عثمان الخشت .

٩ - نزهة الجلساء في

أشعار النساء .

للامام جلال الدين السيوطي

تحقيق : عبد اللطيف عاشور .

١٠ - تأديب الناشئين

بأدب الدنيا والدين

لأحمد بن محمد بن عبد ربه
الأندلسي .

تحقيق : محمد إبراهيم سليم .

١١ - غرائب وعجائب الجن

للشيخ العلامة المحدث بدر الدين
أبي عبد الله محمد بن عبد الله
الشبلي الحنفي .

تحقيق : إبراهيم محمد الجمل .

١٢- التوهم رحلة الإنسان
إلى عالم الآخرة .

للحارث بن أسد المحاسبى .
تحقيق : محمد عثمان الخشت .

١٣- مختصر الطب النبوى .

للحافظ الامام جلال الدين عبد
الرحمن أبى بكر السيوطى
تحقيق : إبراهيم محمد الجمل .
تحقيق : نشأت المصرى .

١٤- السراج الوهاج
فى الاسراء والمعراج .

لأبى إسحق محمد بن إبراهيم
النعمانى الشافعى .
تحقيق : عبد القادر أحمد عطا .

١٥- فهم الصلاة .

للحارث بن أسد المحاسبى .
تحقيق : محمد عثمان الخشت .

١٦- مختصر إغاثة اللهفان .

لابن غانم المقدسى .
تحقيق : إبراهيم محمد الجمل .

١٧- علامات يوم القيامة .

للحافظ ابن كثير الدمشقى .
تحقيق : عبد اللطيف عاشور .

١٨- الرزق الحلال

للحارث بن أسد المحاسبى .
تحقيق : محمد عثمان الخشت .

obeikandi.com

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٧	دراسة وتحقيق
٩	أولا : المؤلف
٩	روح عصره
١٠	معالم حياته
١٣	مؤلفاته
١٥	ثانيا : الكتاب
١٦	التمييز بين النص العربى والنص الفارسى
١٦	تاريخ تأليفه
١٧	مضمون الكتاب
١٨	ترجمات للكتاب
١٩	منهج التحقيق
٢١	كيمياء السعادة
٢٥	فصل فى معرفة النفس
٢٩	فصل كيف تعرف نفسك ؟
٣١	فصل ما حقيقة القلب ؟
٣٣	فصل لماذا خلق القلب ؟
٣٤	فصل معرفة عساكر القلب
٣٥	فصل فى معرفة القلب وعسكره

الصفحة	الموضوع
٣٧	فصل وظيفة القلب
٣٩	فصل ثلاثة أشياء تُبنى عليها السعادة
٤٠	فصل أحوال القلب مع عسكره
٤١	فصل الأخلاق الحسنة والأخلاق القبيحة
٤٣	فصل هل الصور تابعة للمعاني ؟
٤٥	فصل في عجائب القلب
٤٦	فصل القلب مثل المرأة
٤٧	فصل متى يُحجّب القلب عن مطالعة عالم الملكوت ؟ ...
٤٧	فصل متى يطالع القلب عالم الملكوت ؟
٥١	فصل مَنْ طلب وجد
٥٣	فصل ما هي أعظم اللذات ؟
٥٥	فصل النفس مختصرة من العالم
	فصل في معرفة تركيب الجسد ومنافع الأعضاء التي يقال
٥٦	عنها في علم التشريح
٥٨	فصل في تفضيل خلقة بنى آدم
٥٩	فصل متى تفضل البهائم ابن آدم ؟